اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد
بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها
موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}
من الدراري المضيئة
{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض،
وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد
سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية
إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى
في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال:
قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟
قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها
وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد
السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم:
التاريخ:

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/ ١٢/٢٨ والملحق بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القسم الأيمن – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الرابعة ربيع الاول ١٤٤٦ هـ ايلول ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٥ م

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - أيلول ٢٠٢٥ م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغة APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢ .

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٦) المجلد السادس

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الدرس الصوتي في ألفاظ تفسير البسيط للقران الكريم للواحدي (ج٥ وج٦)	م. د. مالك عناد أحمد	٨
٢	تحليل النص الفقهي عند الإمامية دراسة مقارنة بين المبسوط والعروة الوثقى	م. د. ذوالفقار عادل عيسى	٢٢
٣	تعزيز التفكير الإبداعي من خلال التصميم الجرافيكي مدخل معاصر لتناول الخط الكوفي	م. د. سامر علي عبد الحسن	٤٠
٤	أحكام بطاقات الائتمان في الفقه الإسلامي وأثرها في حماية المستهلك الماليدراسة فقهية مقارنة بالقوانين البنكية الحديثة	م.د. محكمات عدنان وهاب	٥٦
٥	اتجاهات مدرسي الاجتماعيات نحو تطبيق التلمذة المعرفية في عملية التدريس وتحدياته في المدارس المتوسطة في محافظة كربلاء	أ. م.د. فاضل نعمة شلبة	٧٠
٦	واقع أهل الكتاب قبل الغزو المغولي لبغداد وموقفهم منه	م. د. حاتم خلف نجم	٩٢
٧	التحليل النحوي بين الرفض والقبول دراسة وصفية	م.د. رياض عواد سالم	١١٠
٨	المحددات الاقتصادية وتأثيرها على السلوك الانجابي في مدينة الشطرة	م.د. زمن ماجد طعمه	١١٦
٩	الأدب المقارن بين المقارنة والتطبيق	م.د. عبدالرحمن أحمد عيدان	١٣٢
١٠	العلاقات السياسية الهندية، الاندونيسية «١٩٤٥ – ١٩٦٧»	م. د. فاطمة جاسم محمد علي	١٤٤
١١	استراتيجية كسر أفق التوقع في رواية الحفيدة الأمريكية	م. د. وجدان كمال نجم	١٥٦
١٢	الأصول الفلسفية للتربية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم	م. م. صبر جسام ناعم	١٦٦
١٣	أثر البيئة في صناعة القيم الكرم في الشعر الجاهلي اختيارا	م. م. نور سامي عبيد	١٨٤
١٤	John Ford`s Tis Pity She`s A Whore as a strange sample of Baroque drama	Assist. LecturerAbdulhafidAbdululhusein	١٩٦
١٥	الاستراتيجيات التداولية في المحادثات اليومية دراسة مقارنة بين اللهجات العربية المختلفة	م. د. وسام جميل الحسن	٢٢٠
١٦	الموقف الايراني من البرنامج النووي السوري مقال مراجعة	م. م. هديل عبد الخالق عبد الرزاق	٢٣٢
١٧	الدور التاريخي لأبي عبد الله الشيعي في قيام الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩ - ١١٧١م)	م. م. أرشد عبود خليفة	٢٣٦
١٨	مَا لَهُ وَجْهَانِ عِندَ العَينيّ في كِتابِهِ المَقَاصِد النَّحْوِيَّةفي شَرح شَوَاهِدِ شُرُوحِ الأَلفِيَّة	م. د. أيمن حوري ياسين	٢٥٦
١٩	الزينة والاحتشام في المنظور الديني	م.م حيدر مطر عاتي	٢٦٨
٢٠	أحكام طاعة الابن لوالديه في فقه الاسرة دراسة في أحاديث الاحكام	الباحثة:صبيحه حسن عبد أ.م.د. فاضل عاشور عبد الكريم	٢٨٢
٢١	التجربة الدينية بين الفكر الغربي و الفكر الإسلامي	الباحثة: فاطمة صالح خابط أ.م. د. حلاكاظم سلومي	٣١٠
٢٢	دور البطاركة في قيام دولة لبنان الكبير ١٩٢٠	م. عبد الخالق محمد عبد	٣٢٠
٢٣	أثر علوم العربية في نشوء الاختلافات الفقهية بين فقهاء المذاهب الإسلامية " دراسة مقارنة"	الباحث: حميد مرهون سالم	٣٣٢
٢٤	الأحوال العامة لتركمان العراق خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨) دراسة تاريخية	الباحثة: منال زكي عبد مجهول	٣٥٠
٢٥	مشروعية اعتبار المآل وتأصيل استشراف المستقبل	م. م. رحاب كريم عبد أ. م. د أحمد رشيد حسين	٣٦٤

الذكوات البيض

أثر البيئة في صناعة القيم
الكرم في الشعر الجاهلي اختيارا

م. م. نور سامي عبيد
جامعة واسط/ كلية التربية الأساسية/ واسط

المستخلص:

يبحث هذا العمل في أثر البيئة العربية في تأسيس قيمة الكرم بوصفها استجابة حتمية لبيئة قاحلة فرضت أنماطًا من التضامن, ويبّن أن الإنسان الجاهلي لم يعتنق الكرم اختيارًا، بل أُذعن لشروط الجغرافيا التي جعلت العطاء ضرورة للبقاء. كما أسهمت في تشكيل وعي جمعي عد الكرم ضمانًا للاستمرار في وجه الخطر. ومن خلال النصوص الشعرية، ثبت أن الكرم كان قيمة مؤسسة لا عارضة، أفرزتها البيئة وأعادت إنتاجها الثقافة.

Abstract:

This work examines the impact of the Arab environment on establishing the value of generosity as an inevitable response to an arid environment that imposed patterns of solidarity. The research demonstrates that pre-Islamic people did not embrace generosity by choice, but rather submitted to the conditions of geography, which made giving a necessity for survival. This geography also contributed to shaping a collective consciousness that considered generosity a guarantee of continuity in the face of danger. Through an analysis of poetic texts, it was proven that generosity was an established, not an incidental, value, generated by the environment and reproduced by culture.

المقدمة:

عاش العرب قبل الإسلام في ظل ظروف حياتية قاسية، وواجهوا تحديات صعبة، كانت الجغرافيا حاكمة في كل ما يحيط بحياتهم, إذ احالت حياتهم على نقلة مستمرة, فكان الإنسان العربي/الشاعر بسبب ظروف البيئة يعاني من غربة مكانية دائمة, لذلك تنبه الى واقعه المر، والى شتى ممارسات الاستلاب التي توجهها الجغرافيا ضده, فوجد لنفسه طرائق في مواجهة قسوة البيئة وافتراسها, إذ غرست الجغرافيا في طبيعة الجاهلي سلوكاً متبايناً, فعلى الرغم من تميّزه بصفات عدوانية ليست قليلة, إلا أنه مارس ما كان على نقيضها تمثلت بالقيم, مثّل الكرم واحدة من نتائج مواجهة التحدي البيئي بأن كان العربي كريماً معطاءً يلبي حاجة أخية, على اعتبار أن العربي ما كان من الممكن أن يكون كريماً لولا أن الصحراء دفعته لذلك؛ لأنه كان يؤمن اليوم على أخيه وغداً عليه, فاتخذه من الكرم أداة للتوازن أمام معادلة الجغرافيا, صارت قيمة الكرم محمودة عنده, فتبارى الاجواد في ولوج هذا المعترك حتى أضحى باباً للخلود المعنوي, بالنتيجة صار العربي كريماً استجابة لظروف الصحراء والبيئة/العنف, فكل ما عليه العرب من قيم إنما هي نتاج الجغرافيا, وهذا ما تسعى الى كشفه الدراسة.

القيمة رؤية في المفهوم:

تُعدّ القيمة مفهوماً مركزيًا في الفكر الإنساني، لما تمثله من معايير موجّهة للسلوك الفردي والجماعي، لكونها «الشرط الذي يلازم كل الوجود والنظام الذي يحكمه»(١)، فوجود الإنسان يساوي وجود القيمة, ولا تُخلق القيم في الفراغ، بل تنشأ ضمن سياقات بيئية واجتماعية واقتصادية تسهم في بلورتها وتثبيتها, من هنا

نفهم، إن القيمة حاجة تجسد في وعي العربي ونمطه؛ فهي في» أساسها اشتقاق من قصدية الوعي, وما دام الوعي هو المبدأ الضروري للمعرفة فإنها ليست سوى تظاهر لوظيفة المعرفة من حيث هي تفاعل قصدي بين الذات والموضوع»(٢).

وبما أن فهم أي قيمة يقتضي النظر في شروط تشكلها، وآليات تداولها، ودلالاتها في وعي الجماعة, كما أن القيم ليست ثابتة بطبيعتها، بل خاضعة للتحول تبعًا لتغير البنى الاجتماعية والثقافية. من هذا المنطلق، تأتي أهمية القيمة، ليس باعتبارها مضمونًا فقط، بل بوصفها بنية ثقافية تتفاعل مع الواقع وتعيد إنتاجه.

لقد شكلت البيئة الجغرافية دورًا محوريًا في تشكيل منظومة القيم عند العرب قبل بزوغ فجر الإسلام, ففي صحراء قاحلة نَدُرَ فيها الزرع والماء، وتحكمها قسوة الطبيعة وشُح الموارد، لم تكن القيمة مجرد خلق محمود، بل ضرورة وجودية ومظهر من مظاهر البطولة والمروءة، من هنا أفرط العربي في تمجيد القيم، حتى غدت أحد أبرز أعمدة الفخر الفردي والقبلي.

إن تتبّع القيمة في الشعر الجاهلي لا ينفصل عن فهم أثر البيئة المحيطة، إذ إن البذل في بيئة العوز يُعد فعلاً يتجاوز الإيثار إلى تحدي القَدَر، وتثبيت لمكانة الشاعر أو الممدوح في سلم الشرف القبلي. ومن هنا تنبثق أهمية هذه الدراسة التي تحاول أن تُنقّب عن العلاقة بين البيئة الجاهلية والقيمة بشكل عام وقيمة الكرم في الشعر بشكل خاص، وكيف صاغ الشاعر/الإنسان الجاهلي هذه القيمة في ضوء واقع معاشه وحاجته إلى التكافل الاجتماعي, فجاء الشعر مرآة صافية تعكس تلك القيمة وتجلياتها في حياة الإنسان العربي

مثلت قيمة الكرم قيمة مركزية في البناء القيمي للمجتمع الجاهلي، جاء حضورها في الشعر نتيجة تفاعل معقد بين الإنسان وبيئته القاسية, فالبيئة الصحراوية بما تتسم به من جدب وقلة موارد فرضت على الإنسان الجاهلي أن يخلق منظومة من القيم تضمن له البقاء والوجود داخل الجماعة، فكان الكرم واحدًا من أهم أدوات إثبات الذات والنجاة في مجتمع يعتمد على التضامن والعطاء, إذ مثل» العامل المكاني على الدوام تحدياً ليس من الهين ترويضه وإخضاعه, ما لم يكون قد هيأ نفسة وشحذ قدراته وقدح زناد فكره لمثل هكذا مواجهة مصيرية»(٣).

ولم يكن الكرم فعلاً أخلاقيًا فحسب، بل تحوّل إلى معيار للبطولة والمروءة، ومفتاحًا للفخر والمدح في القصائد. وساهم الشعر الجاهلي في ترسيخ هذه القيمة وتوسيع دلالاتها، فصوّر الكريمَ لا على أنه واهب الطعام فقط، بل مانح الحماية، وراعي الضيف، وبهذا المعنى، فإن الكرم في الشعر الجاهلي لا يُفهم إلا من خلال شروطه البيئية والاجتماعية، إذ أنتجته الحاجة، وثبّته الشعر كأحد رموز التفوّق الاجتماعي, من هنا يمكن القول إن البيئة الصحراوية لم تكن مجرد خلفية لولادة هذه القيمة، بل كانت فاعلًا أساسيًا في صياغتها وتثبيت مكانتها؛ لأنها « هي من أجبرت ذلك الإنسان على مراعاة قوانينها الحتمية, والالتزام بشروطها القاسية, والتحسب لتقلباتها المفاجئة, حتى يتسنى له العيش في تلك الأماكن المتطرفة في معطياتها العنيفة في ظواهرها»(٤).

اوحت البيئة فيضا من الاحاسيس على الإنسان العربي، مما دفعته الى الشعور بالمخاوف تجاه هذه البيئة, « فالطبيعة بنظمها هي من تتحكم بالفرد في ضوء آلياتها التي ترسم معالم الحياة في أطرها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية, ومن ثم تقرر مصيره في الحياة, كما إن إدراك هذه الحقيقة فرض على الجاهلي أن يتعامل مع نظم المجتمع ومعطياته الحياتية بوعي تام, وحساسية مفرطة؛ كي يحقق ذاته ضمن محيطه القبلي, بما يأتي طموحاته المختلفة اجتماعياً وسياسيا واقتصاديا, ومن أجل تحقيق هذه الطموحات راح يصارع

الآخر بغية بزه سمة التفوق أو السبق في مجال القيم»(٥).

من هنا شرع الإنسان العربي الى مد خيط متين يحاول فيه تجاوز محنة البيئة, التي املت عليه مجموعة من المتناقضات, واجبرته على التحول دائماً من حالٍ الى حال « فبفعل قسوتها وشدة تأثيرها يهجر البدوي داره وينأى عنه ليحل بمكان آخر يجد فيه سعة العيش, لكن ذلك الاستقرار لا يدوم فتصر عوامل الطبيعة متحدية إياه فلا يصمد أمام هجمتها فيرحل ثانية, وهكذا تدور سنوات حياته في حل وترحال دائمين, ولهذا فإنه من غير المعقول أن يتجاوز الشاعر ذكرها والتعرض لوصفها كونها تمثل أهم الاسباب في تحديد استقراره ورسم حياته»(٦), فلم تترك خياراً للإنسان إلا أن يكون صبوراً جلِدًا, وهذا ما عبر عنه عمرو بن قميئة بقوله:(٧)

وهاجرة كأوار الجحيم قطعت إذا الجندب الجولان قالا

إذ لم تكن البيئة مجرد خلفية طبيعية، بل كانت قوة مساهمة في تشكيل نفسية الإنسان الجاهلي، فالظروف البيئية التي « تميزت بها الصحراء العربية وما كان يحدث فيها من تغيرات مناخية مختلفة من شدة للحرارة، وقلة للمياه، وشح للأمطار، وهبوب قوي للرياح الحارة الحاملة للرمال، استرعت جميعها انتباه الجاهلي الذي راح يراقبها، ويتابع حركتها وسكونها باهتمام بالغ، فوصف مظاهرها المتنوعة، ورسم لوحات شعرية جميلة كشف في بعضها عن إعجابه بجمال المناظر الطبيعية، وتنوع أشكال الحياة الطبيعية الصحراوية، وأبرز في بعضها الآخر خوفه ورعبه من مجاهل الحياة الصحراوية، وقدرتها على البطش به كإنسان ضعيف لا يمتلك من مكوناته البيولوجية ما يجعله يقاوم قسوة الطبيعة،...,فهو في صراع أزلي معها»(٨) كما رسمها المنخل بقوله:

هَل هاجَكَ اللَيلَ كَليلٌ عَلى أَسماءَ مِن ذي صُبُرٍ مُخيلِ
أَنشَأَ في العَيقَةِ يَرمي لَهُ جوفُ رَبابٍ وَرِهٍ مُثقَلِ
فَالتَطَّ بِالبُرقَةِ شُؤبوبُهُ وَالرَعدُ حَتّى بُرقَةَ الأَجوَلِ
أَسدَفُ مُنشَقٌّ عُراهُ فَذو ال إدماثِ ماكانَ كَذى المَوئِلِ
حارَ وَعَقَّت مُزنَهُ الريحُ وَإن قارَ بِهِ العَرضُ وَلَم يُشمَلِ
مُستَبدِرا يَزعَبُ قُدّامَهُ يَرمي بِعُمّ السَمُرِ الأَطوَلِ

تكشف الأبيات مشهدًا طبيعيًا عاصفًا تتجلى فيه العلاقة الوثيقة بين الإنسان الجاهلي وبيئته الصحراوية، إذ تتجسد الطبيعة لا بوصفها خلفية جامدة، بل ككائن حيّ يتفاعل مع مشاعره, يجسد جدلية الصراع بين الإنسان والبيئة, البيئة لا ترحم، وهي لا تنفصل عن مشاعر الإنسان، بل تعكسها وتكثفها، فالبيئة إذًا ليست حاضنة فحسب، بل خصم, « لقد عاش الإنسان مغترباً عن ذاته يخاف المحيط, يخشى النار والرعود ويتوسل الرجاء في الظواهر الدائمة كالشمس والقمر والنجوم في بث عامل الأمن وأبعاد مصادر الخطر, ولكي لا يقتل بوسيلة من وسائل الطبيعة فأنه حاول قتلها»(٩).

إذ فتح العربي « عينيه على جزيرة واسعة الأرجاء ضنينة الموارد شديدة الوعر تفرض سلطانها المكين عليه, وتطبع حياته بطابعها ولم يكن لهذا الإنسان من محيد عن العيش في كنفها مضطراً بيد أنه لم ينِ عن الفعل الجاد لتهوين وطأتها القاسية عليه كلّما واتته نهزة لمجابهة عوامل القهر أو كلمها آنس في نفسه قدرة على حد بواعث التعطيل»(١٠), بل إنه يتباهى ويفتخر بتحديها والانتصار عليها في جولة من جولاتها, كما فعل المثقب العبدي بقوله(١١):

أَجِدَّكِ ما يَدْرِيكِ أَنْ رُبَّ بَلْدَةٍ إِذَا الشَّمسُ في الأَيَّامِ طالَ رُكُودُها
وصاحَتْ صَوَادِيحُ النَّهارِ وأَعْرَضَتْ لَوَامِعُ يُطْوَى رَيْطُها وبُرُودُها
قَطَعْتُ بِفَتْلاءِ اليَدَيْنِ ذَرِيعَةٍ يَغُولُ البِلاَدَ سَوْمُهَا وبَرِيدُها
فَبِتُّ وباتَتْ كالنَّعامَةِ ناقتِي وباتَتْ عليها صَفْنَتِي وقَتُودُها

إن الإشارة إلى المناخ القاسي الذي لا يطاق في هذه البيئة الصحراوية, تفرض قسوتها, والاستقرار مؤقت فيها، فحرارة الشمس، وجفاف الأرض، وطول المسير، وحركة الطيور ليست صورًا جمالية فحسب، بل هي هنا سياقات فرضت على الإنسان أن يتكيّف معها، بحكم أن « البيئة العدوانية تزيد درجة العدوان في تركيب الفرد, إذ لها دور مهم في تعزيز أركان شخصيته»(١٢), فصاغت فيه الصبر، والجلد، والشجاعة، والتأهب، والاعتماد على النفس, هذا ما جعل الشاعر لا يكتفي بوصف المشقة، بل يتباهى بها، فأضحت محاولته تلك تعكس, في جانب منها صراعه مع بيئته الطبيعية الصحراوية التي حرمته الاستقرار, فبمقدار ما يتوهم العربي أنه تغلب على مؤثرات بيئته لا تلبث أن تذكره بقوة بالغة في التحكم بسلوكه المتطرف عبر مظاهر تأزم شخصيته وتشرذم علاقاته, « فإذا ما حاول التلاعب أو التجاوز على حدود هذه العلاقة القلقة من الفعل ورد الفعل, والتفاعل الحذر من التأثر والتأثير, فإن الطبيعة حينذاك ستكون له بالمرصاد من حيث قسوة الرد وشدة الأثر»(١٣).

ولو تابعنا احتياجات العربي, نجد أن الماء مثلاً هو الحاجة الأولى والأساسية عنده, قد لا يتصور احد أن العربي في البادية كانوا يتقاسمون ماء الشرب فيما بينهم بمقياس, وهذا نجده واضحاً في الشعر كما في قول زهير(١٤):

جونِيَّةٌ كَحَصاةِ القَسمِ مَرتَعُها بِالسِيِّ ما تُنبِتُ القَفعاءُ وَالحَسَكُ

فهي شحيحة في موارد الماء « بقدر ما تكون الطبيعة عنيفة وشديدة القسوة, عبر تطرف مناخها وتقلب بيئتها وفقر طوبوغرافيتها, بقدر ما تكون عاملاً محفزاً وعنصراً منشطاً,..., لزيادة معدلات العوز والفاقة»(١٥), أما الزاد, فحياتهم كانت قائمة على الشحة في الزاد, وأبيات لبيد بن ربيعة العامري حين تقدم بالدخول بالإسلام, تكشف عن الفكرة كلها(١٦):

أَتَيناكَ يا خَيرَ البَرِيَّةِ كُلِّها لِتَرحَمَنا مِمّا لَقينا مِنَ الأَزلِ
وَلا شَيءَ مِمّا يَأكُلُ الناسُ عِندَنا سِوى العِلهِزِ العامِيِّ وَالعَبهَرِ الفَسلِ
وَلَيسَ لَنا إِلّا إِلَيكَ فِرارُنا وَأَينَ يَفِرُّ الناسُ إِلّا إِلى الرُسلِ

فكان يغمسون الصوف بالدم, فالأمر يصل بالعربي أن يأكل بهذه الطريقة فضلاً عن خشونة ما يحصل عليه من ضب وغيره, هذا جعل الإنسان/ الشاعر الجاهلي يشعر ويحس « أن الموت يتربص به في كل محطات حياته, وقد زاد من شدة الشعور والإحساس في نفس العربي ما أحاط به من ظروف العيش القاسية التي حفلت بأسباب الهلاك المتربصة في كل آن لأن تشده إليها، وتخرجه من حظيرة العيش إلى عالم الفناء؛ ذلك أنَّ حياة البداوة التي عاشها الشاعر الجاهلي جعلته ينظر إلى بيئته الطبيعية وهو يحمل مشاعر متناقضة تنوعت بين الخوف والرجاء، خاصة أن فكرة الصحراء بوصفها حقلا دلاليا أصليا، لا تعني شيئا في الشعر سوى الموت والهلاك، وكل ما يتفرع عنها من دلالات فرعية تزكي هذا المعنى الذي ظل مسيطرا على فكر الجاهلي، وظل موجه للتجربة الشعرية الجاهلية في وصف الطبيعة الصحراوية «(١٧).

أرض توارثها شعوب فكل من حلها محروب(١٨)

أيقن الشاعر الجاهلي فكرة البقاء وأثرها على حياته, وآمن أنه لا راد للموت الذي يمثل جوهر الحياة، ولا مفر منه، فهو قادم لا محالة، فشمل كل شيء، ولم يسلم منه احد، فعاش في سلسلة من الصراعات اليومية مع عوامل الافتراس البيئي, إذ جاء شعره مضمنا لهذا الإحساس، « فالطبيعة قاسية لا ترحم وتظل وراءه تتابعه بقسوتها, وهي قسوة لا تنتهي ولا تفنى, جعلته يعاني منها ويشعر أنها تهدده في كل وقت, وما دام أنه لا يستطيع قهرها والتغلب عليها في واقع حياته, فقد تغلب عليها من خلال تعبيره وفكره واستثمار هذه القسوة لخدمة حاجته التي لازمته طيلة حياته من أجل الوصول الى خلوده المعنوي فجعل من قسوة الطبيعة مطية للوصول الى غرضه»(١٩).

ورأى ــ في عوامل البيئة ــ حالة افتراس وتهديد يومي متكرر, فـ « شعر الإنسان بأن الجغرافية تمتلك صفات فوق إنسانية تتصل بالقوة والصلابة مقابل ضعف الإنسان وقدرته المحدودة, كل هذا جعله يشعر بأن العالم أكبر منه وأن هذه العوامل أبقى وأقوى فهو بالنسبة له يمثل عالماً غريباً متعاليا ومن هنا وقع الإنسان فريسة لعوامل الافتراس البيئي مما حدا به الى تجاوز هذا الافتراس الى تشبيه الإنسان بهذه الصفات واسباغها على نفسه»(٢٠) كقول عدي بن زيد(٢١):

بان المرء لم يخلق حديدا ولا هضبا توقله الوبار
ولكن كالشهاب سناه يخبوا وادي الموت عنه ما يحار

ينبثق في البيتين وعيٌ شعري متوتر، ينهض على إدراك داخلي عميق بصراع لا يهدأ, فالبيئة الصحراوية التي نشأ فيها الإنسان العربي لم تكن مجرد مسرح للأحداث، بل كانت خصمًا صلبًا، تتآمر عليه بعواملها القاسية وظروفها المتقلبة, إذ لم تكن الحياة فيها قائمة على منطقٍ عادل أو حسابٍ متوازن، بل على ما يمكن للإنسان العمل به تجاه تجاوز محنته, وتحت هذا الضغط النفسي، بدا فكر الشاعر مسكونًا برغبة جامحة في كسر قيد البيئة، لا من موقع القوّة وإنما من هشاشة الإنسان نفسه، من شعوره بأنه لا يُخلق من حديد ولا يملك ثبات عوامل الطبيعة, وهذا الإقرار ليس استسلامًا، بل هو وعي مأساوي بطبيعة الوجود، ومحاولته لمواجه مصيره بشيء من التحدي, أدرك ذلك الحصين بن الحمام (٢٢):

تأخرْتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِدْ لنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدّما
ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلُومُنا ولكنْ على أقدامِنا تقْطُرُ الدِّما

يصور الحصين موقفًا حاسمًا في فكر الشاعر/الإنسان الجاهلي، يعكس رؤيته للحياة والمواجهة، في إطار بيئةٍ صحراوية قاسية، لا تفسح المجال للضعفاء، ولا تمنح الحياة لمن يتأخر عن اقتناصها بالقوة, فيعلن عن تجربة شخصية مأزومة؛ فقد حاول أن يحافظ على حياته (بالتراجع، بالتأني، بالحذر)؛ لكنه أدرك أن هذا الأسلوب لا ينفع مع بيئة متطرفة, بل تحتاج للتقدم والمواجهة والمخاطرة, إذ لا ينجو في هذه إلا من يهاجم، فتفرض الصحراء قانونها على من يسكنها، وتصبح الحركة إلى الأمام شرطًا للحياة، أما التأخر فهو هلاك محتوم؛ لأن تلك البيئة التي لا تتيح للمرء أن يتراجع، لأنها ببساطة لا تغفر، ولا تمنح فرصةً أخرى, فيصبح التقدم خيارًا وحيدًا، بل شرطًا للنجاة, من هنا، يبدو أن فكر الشاعر قد تشرّب هذا المنطق البيئي، حتى صار جزءًا من تكوينه النفسي, إذ فرضت البيئة القاسية عليه أن يرى الحياة في الهجوم لا في التراجع.

وعى الإنسان العربي بحجم الطبيعة فوقف أمام قوى الطبيعة متحيراً, ولما كان الإنسان محدود القدرة في المواجهة فإنه كان عاجزاً عن مجابهة كل مصادر القوة في الطبيعة, فاندرج في تفكيره ابتكار وسائل دفاع أخرى كانت جزءاً من منظومته, لأنه لم يكن قادراً على الحد من شدة مظاهر الطبيعة, فهادن فيها القوة

وعبدها خائفاً, واتخذ من مصادر تسخيرها أرباباً وآلهة(٢٣).

إن وعي العربي بأن وجوده محدود في فضاء بيئة قاسية حفزه لاستنباط وتأسيس قيمة الكرم التي تفرض وجودها ومنطقها قسرا على واقعه, لتمنحه الخلاص من فقر واقعه, فالعربي كان يرى في ذاته متحكماً مسيطراً من خلال الكرم يعطي حين يشاء بحيث يتجاوز كل حدود العطاء فالإنسان العربي كان يجاهد من أجل أن يؤسس قيمة الكرم في واقع يراها جنوناً بسبب فقره وشحة الموارد الطبيعية التي توفرها الصحراء للإنسان, فضلاً عن الفوضى التي تتحكم بنظام الحياة والخوف من المستقبل,..., موكد أن هذه القيمة هي خلاصه من الموت, وهي الطريق الى التواصل مع الآخر تواصلاً حراً مطلقاً, « فمهما كانت التضحيات التي يقدمها العربي لأخيه, فكأنه يريد أن يؤسس منطقاً جديداً للعلاقات الإنسانية ولنظام الحياة, فالقيمة هي التي تحتم عليه ذلك»(٢٤).

أضحت رؤية الإنسان العربي مصوبة باتجاه قيمة الكرم بوصفه سبيل الوقاية من عوامل البيئة, فالعربي يقيم علاقة ضدية بين فعل البيئة وبينه, مما يدفعه بالشعور بالمسؤولية تجاه أخية الآخر ويحاول افتداءه, فصار هناك إصرار على المواجهة واختراق حدود البيئة القامعة, مما فرضت عليه نظاماً من القيم الاجتماعية التي توقفها عند حد معين؛ فقيمة الكرم مثلت الانفتاح المطلق على الآخر, ومنحه المقومات الضرورية للوجود حتى لو كان ذلك مستحيلاً بحكم متطلبات الواقع الملحة التي تفرضها البيئة؛ لأن بنية الفكر العربي قبل بزوغ فجر الإسلام بنيت على فكرة الزوال والفناء؛ فالوعي العربي ظل يتربص في الطبيعة ليستنبط لنفسه قيماً يكسب منها ما يؤهله للتعايش في بيئة متطرفة, وبهذا التفسير يمكن أن فهم قصيدة الحطيئة التي عرفت بكرم الإعرابي(٢٥)

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ ... بِتيهاءَ لَم يَعرِف بِها ساكِنٌ رَسما
أَخي جَفوَةٍ فيهِ مِنَ الإِنسِ وَحشَةٌ ... يَرى البُؤسَ فيها مِن شَراسَتِهِ نُعمى
وَأَفرَدَ في شِعبٍ عَجُوزاً إِزائَها ... ثَلاثَةُ أَشباحٍ تَخالُهُمُ بَهما
رَأى شَبَحاً وَسطَ الظَلامِ فَراعَهُ ... فَلَمّا بَدا ضَيفاً تَسَوَّرَ وَاهتَمّا

يظهر بوضوح كيف أن البيئة القاسية التي تحاصر الإنسان العربي لم تقتل فيه النزعة الأخلاقية، بل صقلتها، وجعلت الكرم واجبًا لا يرتبط بوفرة المال، بل بقوة الالتزام, فالصحراء ليست مجرد خلفية جغرافية، بل هي بيئة قاسية تُبرز الضيق والفاقة والانقطاع عن كل موارد الحياة، وهي بذلك تمهّد لتبيان عظمة قيمة الكرم رغم قسوة الفقر, إن قسوة الطبيعة مكّنت من طرح وارساء مسألة الحاجة مقرونة بالحياة والموت « فقد كان الجاهلي واعياً ومدركاً لقيمة الكرم وأبعاده الاجتماعية والحياتية المختلفة حين ربط قيمة الكرم بوجوده ومصيره»(٢٦)

مثل الكرم العربي عاملا تكافلياً ساهم في كشف عقدة النقص التي ظل الجاهلي يعانيها في بيئته الصحراوية، فهو يدرك أنه عاجز عن التحكم في مظاهر الطبيعة، ولكنه أحس أنه يسير في مسارين وهو يبادر للقيمة, يتمثل الأول في الانفتاح على المحتاج ومنحه المقومات الضرورية للوجود حتى لو كان ذلك مستحيلاً بحكم متطلبات الواقع الملحة التي تفرض على الذات انغلاقها, إذ جعلت البيئة العربي يبدو بأوجه متعددة مختلفة, وتنمي كل حالة من حالاته الى أقصى ما تتضمنه ماهيتها, فهو يبدو رقيقاً مرهفاً في عشقه, فجأة يتحول الى الضراوة الوحشية ثم الى الكرم والعطاء, فعلى الرغم من « تميزه بصفات عدوانية ليست قليلة إلا أنه كثيراً ما كان يظهر معوانا طيباً مشاركاً ويخال الكل مظلوما يحتاج الى العون مثله فيهب منجداً

للمظلومين ومغيثاً للمنقطعين»(٢٧), وهذه الأوجه المتناقضة هي نتيجة حتمية لفعل الجغرافيا.

التجأ الإنسان العربي الى وضع طرق وعلامات لمحاولة ترويض واقعه وبيئته كالنار في الليل والاستنباح والعواء والتضحية بأعز ما عنده إكراماً لضيفه أو لمن يحتاج العون, فالامتداد الواسع المتسع يخلو من أية علامة تحدد له اتجاهاً يقوده الى النجاة؛ لأن « هذه البيئة تحاصر الإنسان وتستنفد منه مقوماته, من هنا كانت مسؤولية الذات الشاعرة اختراق حدود هذا الفضاء البيئي وقهره , فالعربي يؤسس الى استعادة ما تسلبه من البيئة عن طريق الانفتاح على الآخر وإدراك الشِركة من خلال مساعدته ومن أجله محاولة, فالمسألة المحورية في وعي العربي تأسيس وعي ثقافي يقهر به معادلة بيئته, وذلك « لتوفير مقومات الوجود للإنسان – الآخر «(٢٨), وهذا ما يجسده أسطورة الكرم العربي حاتم الطائي بقوله(٢٩):

وَداعٍ دَعا بَعدَ الهُدوءِ كَأَنَّما ... يُقاتِلُ أَهوالَ السُرى وَتُقاتِلُه
دَعا يائِساً شِبهَ الجُنونِ وَما بِهِ ... جُنونٌ وَلَكِن كَيدُ أَمرٍ يُحاوِلُه
فَلَمّا سَمِعتُ الصَوتَ ناديتُ نَحوَهُ ... بِصَوتٍ كَريمِ الجَدِّ حُلوٍ شَمائِلُه
فَأَبرَزتُ ناري ثُمَّ أَثقَبتُ ضَوءَها ... وَأَخرَجتُ كَلبي وَهوَ في البَيتِ داخِلُه
فَلَمّا رَآني كَبَّرَ اللَهَ وَحدَهُ ... وَبَشَّرَ قَلباً كانَ جَمّاً بَلابِلُه
فَقُلتُ لَهُ أَهلاً وَسَهلاً وَمَرحَباً ... رَشدتَ وَلَم أَقعُدَ إِلَيهِ أُسائِلُه
فَقُمتُ إِلى بَركٍ هِجانٍ أُعِدُّهُ ... لِوَجبَةِ حَقٍّ نازِلٍ أَنا فاعِلُه

تكشف أبيات حاتم عن واقع البيئة الصحراوية، بما فيها من خشونة وظلمة وخوف وتيه، حيث الضياع والموت جوعًا أو عطشًا احتمالات حقيقية، هي التي دفعت العربي إلى جعل الكرم ضرورة للبقاء، فالصحراء تمثل البيئة الثقافية التي تبلور فيها الوعي الشعري العربي، بيئة أحاطته بشروطها القاسية, ومحدوديتها في تقديم مقومات الوجود, وبما أن الصحراء تحمل دلالتين أساسيتين هما: السعة والاتساع, من هنا تكمن معضلة الإنسان مع بيئة كهذه في كونها عصيّة على الترويض، إلا في نطاق محدود للغاية, فهي فضاء فسيح، مفتوح على اللانهائي، مما يعمّق شعور الإنسان بضآلته وضعفه أمامها، كما أنها لا تكتفي بذلك، بل تتسع باستمرار، كأنها كيان نابض بالحركة، يفرض حضوره على كل محاولات السيطرة والاحتواء(٣٠),

فالبدوي في صحراء مترامية الاطراف، « خالية من علامات الدلالة، متشابهة في رملها المتحرك الذي يغطي كل أثر، أمست مقتلا لكل تائه ضالٍّ في الليل خاصة. وهو ضلال وتيه بل هو موت يلاحق الافراد جميعا، الموت عطشا، الموت جوعا، الموت افتراسا...., بمعنى انه خطر يشمل جميع الناس. فشعر الناس جميعهم بانهم بحاجة الى التكافل للحد من هذا الخطر الذي لا يعرف احدهم متى سيصيبه وينال منه، فكان أن أوقدوا النيران في الأعالي والقمم لتكون دليلا للتائهين ليلاً، واوصى بعضهم البعض الاخر ان ينبحوا كالكلاب، لعل كلبا لبيت بدوي يهرُّ عليهم فيكون دليل نجاة»(٣١). قال عوف بن الاحوص:

وَمُستَنبِحٍ يَخشى القَواءَ وَدونَهُ ... مِنَ اللَيلِ بابا ظُلمَةٍ وَسُتورُها
رَفَعتُ لَهُ ناري فَلَمّا اِهتَدى بِها ... زَجَرتُ كِلابي أَن يَهِرَّ عَقورُها(٣٢)

فـ(المستنبح): البدوي الذي يضل الطريق ليلا ينبح لتجيبه الكلاب فيستدل بنباحها على الحي ليقصدهم, واللافت في الأمر أن البدوي لا يأمن العودة الى منزله إن خرج منه عصراً او مساءً او ليلاً، ذلك لأنه لا يوجد طريق دالٌّ على الذهاب والاياب، فالأرض متشابهة من حوله؛ ولأن الجميع كانوا خائفين من هذا المصير انبرى الجميع لحماية الجميع، فالبدوي كان يرى في التائه تلك الليلة هو نفسه تائه في ليالٍ قادمة،

ويرى في شخص هذا التائه الضال في هذه الليلة هو نفسه منقذه في ليالٍ آتية.

أوقِد فَإِنَّ اللَيلَ لَيلٌ قَرُّ وَالريحَ يا موقِدُ ريحٌ صِرُّ
عَسى يَرى نارَكَ مَن يَمُرُّ إِن جَلَبَت ضَيفاً فَأَنتَ حُرُّ(٣٣)

هذا الاحساس بضرورة التكافل هو الجذر الأول الذي انبنت علية خصيصة الكرم عند العرب، بمعنى: أن الكرم جاء استجابة لتحدي الجغرافيا الشاقّة التي أضرّت بالبدوي، وأنهكت قواه، فكل بدوي كان يشعر أنه بحاجة الى منقذ من التيه والضلال

وَمُستَنبِحٍ تَستَكشِفُ الريحُ ثَوبَهُ لِيَسقُطَ عَنهُ وَهوَ بِالثَوبِ مُعصِمُ
عَوى في سَوادِ اللَيلِ بَعدَ اِعتِسافِهِ لِيَنبَحَ كَلبٌ أَو لِيوقِظَ نُوَّمُ
فَجاوَبَهُ مُستَسمِعُ الصَوتِ لِلنَّدى لَهُ عِندَ إِتيانِ المُحِبّينَ مَطعَمُ
يَكادُ إِذا ما أَبصَرَ الضَيفَ مُقبِلاً يُكَلِّمُهُ مِن حُبِّهِ وَهوَ أَعجَمُ(٣٤)

أمسى كل بدويٍّ مشروعا للإنقاذ؛ لأنه ينتظر منقذاً في ليلة من ليالي الظلام والتيه, ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل ـ بسبب ما تقدم ـ أُلْبِسَتْ هذه الممارسة لباس الفكر فصارت شعيرة دينية يُبْذَلُ فيها الطعام، وتنحر فيها عتاق الإبل اذا هبّت ريح الصَّبا, « فالناقة هي الضحية الغالية المسترخصة عند الجاهلي, فهو كثير الحرص عليها, وهي المتغنى بحبها والمعجب بأوصافها, مثلما هو الباذل لها, والمتغنى افتخاراً بنحرها»(٣٥).

وَسارٍ تَعَنّاهُ المَبيتُ فَلَم يَدَع لَهُ طامِسُ الظَلماءِ وَاللَيلِ مَذهَبا
رَأى ضَوءَ نارٍ مِن بَعيدٍ فَخالَها لَقَد أَكذَبَتهُ النَفسُ بَل راءَ كَوكَبا
فَلَمّا اِستَبانَ أَنَّها آنِسِيَّةٌ وَصَدَّقَ ظَنّاً بَعدَ ما كانَ كَذَّبا
....
وَقُمتُ إِلى البَرِكِ الهَواجِدِ فَاِتَّقَت بِكَوماءَ لَم يَذهَب بِها النَيُّ مَذهَبا
فَرَحَّبتُ أَعلى الجَنبِ مِنها بِطَعنَةٍ دَعَت مُستَكِنَّ الجَوفِ حَتّى تَصَبَّبا(٣٦)

ومثلهم من اتخذ الكرم سبيلا للدفاع عن حياتهم مثل المرأة التي انهكها الجوع زمنا طويلا، ولما خرجت من ضنك الفقر الى بحبوحة الغنى قررت الّا تترك فقيرا جائعا، إذ تقول:

لَعمرُك قدماً عضّني الجوع عضّةً فَآليتُ أن لا أمنع الدهر جائِعا(٣٧)

إن التهديد البيئي المتمثل بالصحراء قليلة الانتاج له الأثر في صياغة اتجاهات الجاهليين السلوكية ودخولهم في صراعات حادة حول الموارد فـ» كثرة خوض الفرد الجاهلي لموقف صراع يومي متجدد هيأ له إحساساً عميقاً بأن كل ما يواجهه من التحديات يقع في اطار الصيغة نفسها, ففي كل صراع يواجهه الفرد الجاهلي يكون طرفي الصراع غالباً أو مغلوباً إلا مواجهة الجغرافية – عوامل الافتراس البيئي – تنتهي الى صيغة واحدة لا تبديل لها وهي التجدد والقهر اليومي للإنسان, وتلك حالة ألفها الإنسان الجاهلي»(٣٨) ولعدم تكافئ المعادلة توجه الى قيمة الكرم « وقد يصيب بعضنا العجب, وتتملكه الدهشة لمثل هذا الفعل ولمثل هذه المروءة يبد أن كل ذلك يتبدد إذا علمنا أن طبيعة حياة الجاهلي تجعل منه مرة مكرماً وتجعل منه تارة أخرى طالب كرم»(٣٩), فالبيئة دفعت الإنسان الجاهلي إلى البحث عن توازن وجودي لا يتحقق إلا عبر

الانفتاح على الآخر. وهكذا، لم يكن الكرم مجرد سلوك فردي، بل تعبيرًا عن وعي جمعي بالمعاناة والتكافل. فقد أملت الصحراء على ساكنها أن يتجاوز أنانيته لحفظ البقاء، فظهر الكرم كقيمة تُعيد صياغة العلاقة بين الأنا والآخر. ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى الكرم لا بوصفه ترفًا أخلاقيًا، بل ضرورة وجودية فرضتها بيئة تتطلب التضامن قبل كل شيء.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن البيئة/الجغرافيا القاسية لم تكن مجرد ظرف خارجي محايد، بل كانت العامل الحاسم في صياغة وعي الإنسان الجاهلي، وتشكيل منظومته القيمية، وعلى رأسها الكرم. فقد كشفت الدراسة أن الكرم لم يكن فعلاً أخلاقيًا عارضًا، بل استجابة ضرورية لواقع يتصف بالفقر، والعوز، والتيه، والموت المحتمل في كل لحظة, وإن الشعور بالخطر المشترك، والحاجة إلى التماسك المجتمعي، دفعا الإنسان العربي إلى تأسيس قيمة الكرم كوسيلة للتوازن الوجودي والنفسي، وكفعل مقاومة في وجه بيئة عدوانية. وهكذا، تجلّى الكرم في الشعر الجاهلي لا بوصفه مديحًا ذاتيًا فحسب، بل كوثيقة ثقافية تعبّر عن وعي بيئي واجتماعي عميق. لقد أوضحت هذه الدراسة كيف أفرزت الجغرافيا منظومة من القيم تتجاوز بعدها الأخلاقي لتصبح ضرورة حضارية وثقافية، تضمن بقاء الإنسان العربي في قلب بيئة لا ترحم، فكان الكرم، بهذا المعنى، هو الوجه الإنساني لمعادلة البقاء.

الهوامش:

١ – القيمة الأخلاقية, عادل العوا, ٣٨– ٣٩.
٢ – جماليات الشعر العربي, هلال جهاد, ٣٨١.
٣ – الجغرافية الشقاقية, ثامر عباس, ١٢٦.
٤ – الجغرافية الشقاقية, ١٢٧.
٥ – القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعيا, دكتور توفيق ابراهيم صالح, ٧
٦ – التطور والتجديد في اللوحة الطللية قبل الإسلام حتى نهاية العصر الأموي, كاظم حمد محراث, ٦٩.
٧ – ديوان عمرو بن قميئة, ١٢٠.
٨ – التغريبة الإنسانية في الشعر الجاهلي, عادل بوديار.
٩ – النفس والعدوان, ريكان إبراهيم, ٩.
١٠ – قراءات نصية في الشعر الجاهلي, جليل حسن محمد, ١٠
١١ – ديوان المثقب العبدي, ٨٦.
١٢ – النفس والعدوان, ١٧.
١٣ – الجغرافية الشقاقية, ١١٤
١٤ – شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى, ٨٣.
١٥ – الجغرافية الشقاقية, ١٥٠ – ١٥١.
١٦ – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري, ٢٧٧.
١٧ – التغريبة الإنسانية في الشعر الجاهلي, عادل بوديار.
١٨ – ديوان عبيد بن الأبرص, ١١.
١٩ – الإنسان والزمان, حسني عبد الجليل, ٢٦.

٢٠ – المواقف الإنسانية ١٠٩

٢١ – ديوان عدي بن زيد العبادي, ١٣٢.

٢٢ – الحماسة, لأبي تمام, ٨٣.

٢٣ – ينظر: ما وراء الطبيعة رافداً للنص الشعري العربي قبل الإسلام, تابع أستاذنا د. كاظم حمد محراث بأطروحته هذا الأمر بشكل دقيق مستوفٍ, ٧٣ – ٧٥.

٢٤ – جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي, الدكتور هلال جاهد, ٣٩١ – ٣٩٢.

٢٥ – ديوان الحطيئة, ٣٣٧.

٢٦ – القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعيا, ٢٧

٢٧ – البنى التحتية لثقافتنا في ضوء الشعر , ٤٢.

٢٨ – جماليات الشعر العربي, هلال جهاد, ٣٣٧.

٢٩ – ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره, ٢٥٧.

٣٠ – ينظر: جماليات الشعر العربي, هلال جهاد, ٣٢٧.

٣١ – شذرات من الشعر الجاهلي, كاظم حمد محراث. الشذرة (٣) و(٤) منشورة على صفحته الشخصية.

٣٢ – المفضليات, ١٧٦.

٣٣ – ديوان حاتم الطائي وأخباره, ٢٣٣.

٣٤ – ديوان المتلمس الضبعي, ٣١٧.

٣٥ – دراسات معاصرة في الشعر الجاهلي, ٧٤

٣٦ – ديوان المثقب العبدي, ١١٧.

٣٧ – الأغاني, ج١٦/٩٧.

٣٨ – دراسات نقدية, محمود الجادر, ٢٣٣.

٣٩ – القيم في الشعر الجاهلي, ٣٤

المصادر والمراجع:

١ – الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي, دكتور حسني عبد الجليل يوسف, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ط١, ١٩٨٨م.

٢ – البنى التحتية لثقافتنا العربية في ضوء الشعر, د. كاظم حمد محراث, دار الضياء ـ النجف الأشرف, ط١, ٢٠٠٨م.

٣ – الجغرافية الشقاقية بحث في تصدعات الوعي الإقليمي للديموغرافيا العراقية (تفسير انثروبو – جغرافي), ثامر عباس, دار الرافدين للطباعة, بيروت – لبنان, ط١, ٢٠١٧م.

٤ – جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي, الدكتور هلال جهاد, سلسلة أطروحات الدكتوراه(٦٥), مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت – لبنان, ط١, ٢٠٠٧م.

٥ – دراسات نقدية في الأدب العربي, الدكتور محمود عبد الله الجادر, وزارة التعليم العالي والبحث العلمي, جامعة بغداد, مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر, الموصل, ط١, ١٩٩٠م.

٦ – دراسات معاصرة في الشعر الجاهلي, الدكتور توفيق إبراهيم صالح الجبوري, المكتب الجامعي الحديث, مصر – الاسكندرية, ط١, ٢٠١٤م.

٧ – ديوان الحطيئة, برواية وشرح ابن السكيت(ت٢٤٤هـ), تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه, مكتبة الخانجي بالقاهرة, ط١, ١٩٨٧م.

٨ – ديوان عبيد بن الأبرص, تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة – مصر, ط١, ٢٠٠٤م.

٩ – ديوان عدي بن زيد العبادي, حققه وجمعه محمد جبار المعيبد, وزارة الثقافة والإرشاد مديرية الثقافة العامة, شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ـ بغداد, ط١, ١٩٦٥م.

١٠ – ديوان عمرو بن قميئة, عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي, معهد المخطوطات العربية, مصر, ط١, ١٩٦٥م.

١١ – ديوان شعر المتلمس الضبعي, راوية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي, عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي, معهد المخطوطات العربية, مصر, ط١, ١٩٧٠م.

١٢ – ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره, صنعة يحيى بن مدرك الطائي, رواية هشام بن محمد الكلبي, دراسة وتحقيق: د. عادل سليمان جمال, هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث, الإمارات, ط١, ٢٠١١م.

١٣ – ديوان المثقب العبدي, عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي, معهد المخطوطات العربية, مصر, ط١, ١٩٧١م.

١٤ – شعر زهير بن أبي سُلمى, صنعة الأعلم الشنتمري, تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, ط٣, ١٩٨٠م.

١٥ – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري, حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس, التراث العربي, سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت, ط١, ١٩٦٢م.

١٦ – كتاب الأغاني, لأبي الفرج الأصفهاني, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, ط٢. ٢٠١٠م.

١٧ – القيمة الأخلاقية, عادل العوا, الشركة العربية للطباعة والصحافة والنشر, القاهرة, ط١, ١٩٦٥م.

١٨ – القيم في الشعر الجاهلي ضابطاً اجتماعياً, الدكتور توفيق إبراهيم صالح الجبوري, دار غيداء للطباعة والنشر, عمان – الأردن, ط١, ٢٠١٨م.

١٩ – قراءات نصية في الشعر الجاهلي, جليل حسن محمد, دار جرير للنشر والتوزيع, عمان – الأردن, ط١, ٢٠١٢م.

٢٠ – المفضليات, تحقيق وشرح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون, دار المعارف, مصر, ط٦, ١٩٧٩م.

٢١ – المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي الالتزام الاغتراب التمرد, دكتور حسني عبد الجليل يوسف, دار الثقافة للنشر والتوزيع, القاهرة ـ مصر, ط١, ١٩٨٩م.

٢٢ – النفس والعدوان دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة العدوان البشري, د. ريكان إبراهيم, دار الشؤون الثقافية بغداد, ط١, ١٩٨٧م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

١ – التطور والتجديد في اللوحة الطللية قبل الإسلام حتى نهاية العصر الأموي, كاظم حمد محراث, رسالة ماجستير, جامعة بغداد/ كلية الآداب, ١٩٩٥م.

٢ – ما وراء الطبيعة رافداً للنص الشعري العربي قبل الإسلام, كاظم حمد محراث, أطروحة, جامعة بغداد/ كلية الآداب, ١٩٩٨م.

المراجع الإلكترونية

١ – التغريبة الإنسانية في الشعر الجاهلي, عادل بوديار, كلية الآداب واللغات, جامعة تبسة – الجزائر, مقال إلكتروني, نشر في ٢٣ نوفمبر ٢٠١٧م https://diae.net/٥٦٢٥٠/

٢ – شذرات من الشعر الجاهلي, كاظم حمد محراث. الشذرة (٣) و(٤) منشورة على صفحته الشخصية.

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-
Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

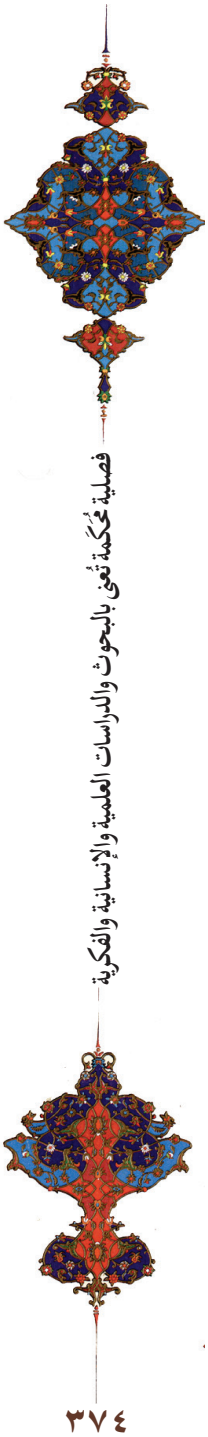

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥ م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon